13 me Année No. 645

Lundi—12—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٤٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفـــن عام

نعم . ولكن بأى معنى ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

(سير كنيث ما كنزى كلارك) هو فى الوقت الحاضر أكبر النقاد فى فن التصوير بالبلاد الانجليزية .

وقد تولى إدارة المتاحف الوطنية الكبرى عدة سنوات وهو لم يتجاوز الثلاثين ، وبلغ هذه المنزلة الرفيعة فى عالم الفن ولما يتجاوز اليوم الثالثة والأربعين .

كتب هذا النقاد العالى فى إحدى الصحف اللندنية بحثاً يدل عنوانه على فحواه وهو « أن الفن ليس لكل إنسان » .

ولا نطيل فى تلخيص آرائه لأننا قد نستغنى عن الإطالة فى تلخيصها بمثلين اثنين من أمثاله المتكررة فيهما الكفاية فيما أراد البيان عنه .

أحدهما أن المتحف الوطنى اشترى سنة ١٨٤٠ صورة لفان ايك بثلثمائة وثلاثين جنيها انجليزياً واشترى معها صورة لجيدو بألف وستمائة جنيه . . . والآن تقدر الأولى بثلثمائة ألف جنيه لو سمح ببيعها ، ولا تزيد قيمة الأخرى على الثلاثين .

أما المثل الثانى فهو نتيجة استفتاء لهواة الصور فى مجموعة من القطع الفنية الخالدة ومعها بعض القطع التى لا تعلو على طبقة الصور المعدة للاعلان وترويج البضائع .

بيع من هذه المجموعة ثمانون ألف نسخة ، وكان أربعة أخماس الصور المعروضة فيها من آيات الفن الكبرى ، وما بقى من المجموعة أخلاط وأوشاب .

والذين سئلوا عن رأيهم فى أبدع هذه الصور جميعاً هم بطبيعة الحال هواة الفن الذين يسهل على أحدهم بذل الثمن الغالى فى كتب التصوير .

ومع هذه أحصيت الأجوبة فإذا بالصور الست المفضلة كلها من غير الآيات الفنية الكبرى ، مع أنها تبلغ أربعة الأخماس من صور المجموعة وليست هى بالقلة التائهة بين زحام تضل فيه الأذواق والآراء .

ونعتقد أن المثلين يتكرران فى كل بيئة وفى كل فن من الفنون الجميلة ، وأن النتيجة لا تختلف عن هذه النتيجة كبير اختلاف .

وإنما يلفت النظر فى المثلين أن الغلطة فى المثل الأول غلطة نقاد مختصين بالتقويم والتقدير فى المتاحف العالمية المعدودة ، وأن الغلطة فى المثل الثانى غلطة جمهور غفير ولكنه هو جمهور الفن على كل حال .

فما الذى يفهم من هذين المثلين ؟

لا يفهم منهما أن ذوق الفن حظ شائع بين سواد الناس ، ولا أنه ذوق خاص بالعلية فى عصر واحد .

فكيف يقال إذاً إن « الفن عام » وإنه تراث عالمي أو تراث إنساني يقاس بمقياس الإنسانية جمعاء ؟ .

إنما يقال هنا بمعنى واحد لا معنى سواه .

وهو أن الفن « عام » بمعنى أنه للخاصة في جميع الأزمان وليس للخاصة في زمن واحد أو بيئة واحدة .

فإذا كان كذلك كان « إنسانياً » وكان عاماً بهذا المعنى دون غيره ، لأن اتفاق الخاصة على استحسانه في كل زمن هو الدليل على أنه قائم على المزايا الإنسانية التي تنال بالفطرة المهذبة ، ولا ترجع إلى الأسباب الموقوتة التي ترفع إلى منزلة الخاصة أحياناً في بعض العصور من لا يستحقون التميز والترجيح .

فإذا كان العمل الفني يروق الخاصة في بعض العصور ولا يروق الخواص في العصور الأخرى فذلك هو الدليل القاطع على أنه لا يروقهم لمزية إنسانية باقية ، ولكنه يروقهم لسبب من سببين عارضين : أحدهما أن ثروة من الثروات التي تطغى على العقول والأذواق في بعض الأحوال قد طغت على أولئك الخاصة فأضلتهم عن سواء السبيل ، والآخر أنها خاصة مزيفة قد صعدت إلى مكان العلية والسراة لعيب من عيوب المجتمع الذي برزت فيه .

فمن قال إن « الفن عام » لا يصح أن يعني بكلامه هذا أنه خلق للعامة وكل من يعقل أو لا يعقل على السواء ، وإنما يستقيم كلامه على وجه واحد وهو أن الفن الرفيع إنساني لأنه يعجب الممتازين من بني الإنسان في جميع العصور .

ونحن نقول العامة والخاصة في مسائل الفن والأدب ، ونقصد بهما العامة والخاصة في الأذواق والأخلاق والملكات ، ولا نقصد بهما عامة العرف الاجتماعي أو خاصة الأوضاع والتقاليد .

فالغني قد يكون من أحقر العامة في أذواقه وأخلاقه وملكاته ، والفقير قد يكون من أرفع الخاصة في تلك المزايا الإنسانية العليا ، وقد يكون هو مبدع الآيات الغوالي في الأدب والتصوير والموسيقى والتمثيل كما حدث ويحدث إلى آخر الزمان .

بل نحن نرى أن العامية أوسع نطاقاً من فوارق الغنى والفقر والذكاء والغباء .

فقد يكون الرجل خاصة في الهندسة وعامة في الشعر والكتابة ، وقد يكون خاصة في الأدب وعامة في الموسيقى والتصوير ، وقد يكون خاصة في فقه اللغة وعامة في أذواق الفنون ، وقد يكون خاصة في الخلق والإنتاج وعامة في النقد والشرح والتفسير .

لأن الإنسان الذي يرتقي إلى مرتبة الخاصة في جميع المحاسن الإنسانية غير موجود ولا يتأتى له وجود .

والمقصود على هذا بخواص الفنون والآداب هم أولئك الذين يحسنون فهمها ويملكون وسائلها وموازين الترجيح فيها .

وعلى هذا الاعتبار يصح أن يقال كما قال أناتول فرانس إن الجمال الفني سهل وإنه على قدر سهولته يكون نصيبه من الجمال .

فأسهل الفنون هو أجل الفنون .

ولكن ينبغي قبل ذلك أن نسأل : سهل هو على أي الناس ؟

فلو كان المقصود أن يكون سهلا على جميع الناس لخرج من الفنون العليا فن المتنبي وأبي العلاء وابن الرومي والبحتري وهومر وجيتي وشكسبير ، وارتقى إلى ذروة هذه الفنون كل نظام من سوقة الجماهير يطربهم بالأزجال والمواويل .

ولكن المقصود بالسهولة هم أولئك الذين استعدوا بفطرتهم وتهذيبهم لفهم الجمال الرفيع في آيات مبدعيه والمعبرين عنه من الشعراء والأدباء والفنانين .

وعلى هذا المعنى أيضاً يقال إن « الفن عام » لأنه يعم كل من تهيأ له بفطرته وتهذيبه ، وكلاهما من صفات بني الإنسان ، وليسا من الصفات المستعارة للآدميين من خارج الحياة الآدمية .

والأمر بعدُ أوضح من أن يحتاج إلى عناء في إثباته وتمييز صوابه من خطئه .

لأن الحقيقة التي لا مراء فيها أن الأذكياء أكثر من الأغبياء ، وأن أصحاب الأذواق أكثر من المحرومين منها ، وأن دقائق البلاغة وأسرار الجمال أخفى من البلاغة الشائعة والجمال المبذول ، وأن الإنسان بالفطرة والتعليم معاً أرجح من الإنسان بالتعليم وحده أو بالفطرة وحدها .

ومع ثبوت هذه الحقيقة واستغنائها عن الحاجة في إقامة البرهان على صحتها لا تكون الدعوة إلى تجريد الفنون من الخاص والعام ، ومن الرفيع والوضيع ، إلا مسخاً للمزايا وهبوطاً للصاعدين وتسوية بين الذي هو أدنى والذي هو خير .